هو

۱۲۱

تفسیر الصافی

الجزء الأول

ملامحسن فیض کاشانی

به کوشش: زهرا خالوئی

فهرست

تلك الآيات إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على أولي الألباب إلا إنا سنأتي بنبذ منها في محالها إنشاء اللّٰه تعالى و الحمد للّٰه على ما أفهمنا ذلك و ألهمناه.

المقدمة الرابعة في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات و تحقيق القول في المتشابه و تأويله

روى العياشي بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني. ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم فقال لي يا جابر ان للقرآن بطناً و للبطن بطناً و ظهراً و للظهر ظهراً يا جابر و ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية ليكون أولها في شيء و آخرها في شيء و هوكلام متصل يتصرف على وجوه. و بإسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال ظهر القرآن:
الذين نزل فيهم، و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم. و بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا و لها ظهر و بطن و ما فيه حرف إلا و له حد و لكل حد مطلع ما يعني بقوله لها ظهر و بطن، قال: ظهره تنزيله و بطنه تأويله منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس و القمركلما جاء منه شيء وقع، قال اللّٰه تعالى (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نحن نعلمه. أقول: المطلع بتشديد الطاء و فتح اللام مكان الاطلاع من موضع عال و يجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم و معناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، و محصل معناه قريب من معنى التأويل و البطن كما أن معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر. و بإسناده عن مسعدة بن صدقة قال: سألت أبا عبد اللّٰه عليه السلام عن الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه، قال: الناسخ الثابت المعمول به و المنسوخ ما قدكان يعمل به ثم جاء ما نسخه، و المتشابه ما اشتبه على جاهله.
و في رواية الناسخ: الثابت، و المنسوخ ما مضى، و المحكم ما يعمل به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً.
و بإسناده عن عبد اللّٰه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللّٰه عليه السلام عن القرآن و الفرقان قال: القرآن جملة الكتاب و أخبار ما يكون و الفرقان المحكم الذي يعمل به وكل محكم فهو فرقان.
و بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد اللّٰه عليه السلام يقول إن القرآن فيه محكم و متشابه فأما المحكم فنؤمن به و نعمل به و نعمل به و ندين به. و أما المتشابه فنؤمن به و لا نعمل به.
و بإسناده عن عبد اللّٰه بن بكير عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: نزل القرآن بإياك أعني و اسمعي يا جارة.
أقول: هذا مثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به غير المخاطب و هذا الحديث مما يؤيد ما حققناه في المقدمة السابقة، و بإسناده عن ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: ما عاتب اللّٰه نبيه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله تعالى (وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا) عنى بذلك غيره.
أقول: لعل المراد بمن قد مضى في القرآن من مضى ذكره فيه من الذين أسقط أسماءهم الملحدون في آيات اللّٰه كما يظهر مما يأتي ذكره في المقدمة السادسة و هذان الحديثان مرويان في الكافي أيضاً.
و من طريق العامة عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله إن للقرآن ظهراً و بطناً و حدّاً و مطلعاً.
و عنه عليه السلام إن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن و لكل حد مطلع.
و في رواية و لكل حرف حد و مطلع.
و عنه عليه السلام إن للقرآن ظهراً و بطناً و لبطنه بطن إلى سبعة أبطن.
و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من آية إلا و لها أربعة معان ظاهر و باطن و حد و مطلع فالظاهر التلاوة و الباطن الفهم و الحد هو أحكام الحلال و الحرام و المطلع هو مراد اللّٰه من العبد بها.

و رووا أنه عليه السلام سئل هل عندكم من كتاب اللّه على أربعة أشياء العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء.

أقول: و تحقيق القول في المتشابه و تأويله يقتضي الإتيان بكلام مبسوط من جنس اللباب و فتح باب من العلم ينفتح منه لأهله الف باب. فنقول و باللّٰه التوفيق: إن لكل معنى من المعاني حقيقة و روحا و له صورة و قالب و قد يتعدد الصور و القوالب لحقيقة واحدة و إنما وضعت الألفاظ للحقائق و الأرواح و لوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلا لفظ القلم إنما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك بل و لا أن يكون جسماً و لا كون النقش محسوساً أو معقولًا و لا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرد كونه منقوشاًفيه و هذا حقيقة اللوح وحده و روحه فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطة نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم فان اللّٰه تعالى قال:

(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم و حقيقته و حدّه من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه وكذلك الميزان مثلًا فإنه موضوع لمعيار يعرف به المقادير و هذا معنى واحد هو حقيقته و روحه و له قوالب مختلفة و صور شتّى بعضها جسماني و بعضها روحاني كما يوزن به الأجرام و الأثقال مثل ذي الكفتين و القبان و ما يجري مجراهما و ما يوزن به المواقيت و الارتفاعات كالأسطرلاب و ما يوزن به الدواير و القسي كالفرجار و ما يوزن به الأعمدة كالشاقول و ما يوزن به الخطوط كالمسطر و ما يوزن به الشعركالعروض و ما يوزن به الفلسفة كالمنطق و ما يوزن به بعض المدركات كالحس و الخيال و ما يوزن به العلوم و الأعمال كما يوضع ليوم القيامة و ما يوزن به الكل كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين.

و بالجملة: ميزان كل شيء يكون من جنسه و لفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حدّه و حقيقته الموجودة فيه و على هذا القياس كل لفظ و معنى.

و أنت إذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانياً و فتحت لك أبواب الملكوت و أهلت لمرافقة الملأ الأعلى و حسن أولئك رفيقاً فما من شيء في عالم الحس و الشهادة الا و هو مثال و صورة لأمر روحاني في عالم الملكوت و هو روحه المجرد و حقيقته الصرفة و عقول جمهور الناس في الحقيقة أمثلة لعقول الأنبياء و الأولياء فليس للأنبياء و الأولياء أن يتكلموا معهم إلا بضرب الأمثال لأنهم أُمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم و قدر عقولهم انهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة و النائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلا بمثل، و لهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رأى في المنام أنه يعلق الدر في أعناق الخنازير، و من كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رأى أنه يختم على أفواه الناس و فروجهم. و على هذا القياس و ذلك لعلاقة خفية بين النشآت فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا و علموا حقائق ما سمعوه بالمثال و عرفوا أرواح ذلك و عقلوا أن تلك الأمثلة كانت قشوراً، قال اللّٰه سبحانه: (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً) فمثّل العلم بالماء و القلوب بالأودية و الضلال بالزبد ثم نبه في آخرها فقال: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثالَ) فكل ما لا يحتمل فهمك فإن القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي كنت في النوم مطالعاً بروحك للوح المحفوظ ليتمثل لك بمثال مناسب ذلك يحتاج إلى التعبير فالتأويل يجري مجرى التعبير فالمفسر يدور على القشر و لما كان الناس إنما يتكلمون على قدر عقولهم و مقاماتهم فما يخاطب به الكل يجب أن يكون للكل فيه نصيب فالقشرية من الظاهريين لا يدركون إلا المعاني القشرية كما أن القشر من الإنسان و هو ما في الإهاب و البشرة و من البدن لا ينال الا قشر تلك المعاني و هو ما في الجلد و الغلاف من السواد و الصور و أما روحها و سرها و حقيقتها فلا يدرك الا أولوا الألباب و هم الراسخون في العلم و إلى ذلك أشار النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم في دعائه لبعض أصحابه حيث قال اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل و لكل